

أركان الصلاة أربعة: محمد وعلي وفاطمة والحسين

الجناح الأول: النبوة

إن المصلي لا يمكنه تذوق نكهة الصلاة، حتى يدرك بوجوده إن الصلاة نعمة روحية، أنعم بها الحبيب الأول عليه، لأجل أن يعيش لقاء المحبة والعشق الحقيقي مع معشوقه، كما قال العاشق المقيم علي بن أبي طالب عليه السلام: "وبعد ما انطوى عليه قلبي من معرفتك، ولهج به لساني من ذكرك، واعتقده ضميري من حبك". (4)

ومن الواضح أن وصول هذه النعمة الملكوتية للمحب، إنما تم برسالة من محبوبه معدن الجمال - تعالى-، بواسطة حبيبه المختار، مطهر الجمال، المصطفى محمد صلى الله عليه وآله، ولذا كانت الصلاة من رشحات النبوة، فكان محمد الركن الأول لها، وكان ذكره باسمه، والصلاة عليه مما لا تصح الصلاة بدونه.

الجناح الثاني: الولاية

إن المؤمن لا يهتدي لحقيقة الصلاة إلا بالولاية، فالصلاة صلة عقلية وقلبية، بين المحدود والمطلق، ولكي تكون الصلة صادقة وموصلة؛ كان لا بد من معرفة حدودها ومعالمها، لأن المحدود لا يقدر على نيل المطلق - ما لم يهتدِ لطرق الرضا والزلفى- فلذلك احتاجت الصلاة لجناح الإمامة، فهي الدليل على الطريق، كما ورد في الحديث: عن زرارة، عن أبي جعفر عليه السلام قال: "أما لو أن رجلاً صام نهاره وقام ليله، وتصدق بجميع ماله، وحج جميع دهره، ولم يعرف ولاية ولي الله فيوآليه، وتكون جميع أعماله بدلالته إليه ما كان له على الله ثواب، ولا كان من أهل الإيمان" (5)، ومن هنا يتجلى لنا السر في ميلاد علي عليه السلام في الكعبة "قبلة الصلاة"، لا لأن تلك مكرمة من مكارم أمير المؤمنين عليه السلام فقط بل لأجل بيان أن الصلاة مقرونة صحتاً وقبولاً بولايته، وفي ذلك قلت شعراً:

تَجَلَّى فَقَالَ اللهُ وَلَوْ وَجُوهَكُمْ ° فَمَا اسْتَقْبَلَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ وَإِنَّ مَا

لَوَجَّهَ عَلِيٌّ حِينَ كُلِّ صَلَاةٍ شُعَاعٌ عَلِيٌّ قِبْلَةُ الْمَسَلَّاتِ

وبذلك يتضح لنا الوجه في إدراج الشهادة الثالثة في أذان الصلاة، بلحاظ أن الصلاة من دون ذكر علي عليه السلام جسمٌ بلا روح.

الجناح الثالث: التسبيح

قال تعالى: {وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي}(6). إن الصلاة بصورتها الملكية الظاهرية: أذكار، وتهاليل، ولكنها برقيقتها الأمرية هالة من التسابيح الملائكية، فالمؤمن بمجرد شروعه في الصلاة يدخل في غمرة من التسابيح الملكوتية، التي لا يشعر بها، فالزمان والمكان، والموجودات ذوات الشعور، وغيرها، جميعها تسبح بتسبيحه، قال تعالى: {وَإِنَّ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا لَاسِيَّحٌ بِحَمْدِهِ وَلَكَرِئ لَاسِيَّ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ}(7)، وهذا ما بلاغته البتول فاطمة عليها السلام بصيرتها النورية، حيث شعرت أن الصلاة هالة ضوئية، تتعالى إلى العرش في تسابيح الملائكة، وتهاليل الأنبياء، فأضفت على خشوع الصلاة درجة سامية من العلو بتسبيحها المعروف بعد السلام، فكان تسبيح فاطمة الزهراء شرطاً في كمال الصلاة، وسمو رتبته.

الجناح الرابع: العطاء

قال تعالى: {وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ}(8). ليس للمصلي من صلاته إلا ما أدرك من معانيها، ومن أجل مضاeminها: أن الصلاة عطاء يُخْرِج الإنسان من صومعة الأنانية إلى ربيع البذل، وللعطاء مراتب: أولها الصلاة، ووسطها قرن الصلاة بالزكاة، كما صنع أمير المؤمنين عليه السلام {يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ}(9)، وأعلىها بذل النفس في سبيل رضا المحبوب الأول، وهو ما تجلى في الحسين بن علي عليه السلام، الذي قال: "عميت عين لا تراك عليها رقيباً، وخسرت صفقة عبد لم تجعل له من حبك نصيباً" (10)، ومن هنا جاء أن من أفضل معارج الصلاة السجود على تربة البذل والعطاء، تربة الشهادة، تربة الحسين عليه السلام الذي يخرق الحجب السبع، لتعليم المصلي أن الصلاة حركة وجهاد، فليس للصلاة معنى ولا طعم من دون ذكر محمد، وعلي، وفاطمة، والحسين، والأئمة المعصومين عليهم السلام، الذين فُرِضت الصلاة عليهم في الصلاة، فهم دعائم العبادة وأركانها.

نَسْأَلُ أَنْ يَفْرَن صَلَاتِنَا بِهِمْ، وَأَنْ يَجْعَلِنَا مَعَهُمْ، وَالْحَمْدُ عَلَى نِعْمَةِ الْوَلَايَةِ.